

## ورحل الحاج عبدالمنعم قايل.. المجاهد المجهول



الأربعاء 20 مايو 2020 11:13 م

منذ أيام قليلة وفيما تنتزل بركات رمضان ورحمات العشر الأواخر من رمضان رحل عن دينا الحاج عبدالمنعم قايل عن عمر ناهز 83 عامًا، بعد رحلة من التضحية في سبيل الله والرضا بقضاء الله في المحن.

### البداية

في حي روض الفرج بمدينة القاهرة ولد عبدالمنعم عبد الحليم حسن قايل في 3 يناير 1937م في بيت متواضع يسكنه عدد من الأسر، وفي منطقة فقيرة من الحي، كان والده يعمل كعامل بالسكة الحديد وينتمي إلى الجمعية الشرعية التي كان يرأسها في ذلك الوقت مؤسسها الشيخ محمود خطاب السبكي-رحمه الله.

التحق بمراحل التعليم حتى حصل على الشهادة الابتدائية عام 1951 من مدرسة مكارم الأخلاق الإسلامية بروض الفرج، ثم حصل على التوجيهية قسم علمي عام 1956م، من مدرسة روض الفرج الثانوية بمجموع 73%، ورغم أن مجموعته كان يؤهله لدخول كلية الطب التي كان يتمنى الالتحاق بها، حيث كانت تأخذ حينها من 71.5% فإنه لم يدخلها بسبب الفقر وعدم قدرته ووالده على مصاريف الكلية، فاضطرَّ لدخول كلية العلوم التي كانت رسومها 6 جنيهات ونصف الجنيه، في حين أن كلية الطب كانت مصاريفها 21.5 جنيهًا، ورغم ذلك لم يستمر في كلية العلوم سوى 4 أشهر فقط؛ حيث كان مرتب والده لا يتعدى الـ6 جنيهات، وحوَّل لكلية التجارة التي كانت رسومها 85 قرشًا فقط بعد أن اضطرَّ للعمل عاملاً في المصانع الحربية عن طريق الصاغ وليام إبراهيم نجل ناظر المحطة التي كان يعمل فيها والده.

بعد حصوله على بكالوريوس التجارة والعمل محاسبًا بإحدى شركات المقاولات بروض الفرج فرَّ الانتساب إلى الحقوق، لكن الاعتقال حال بينه وبين استكمال الدراسة بكلية الحقوق الذي قضى فيها عامين.

### وسط الإخوان

انضم إلى دعوة الإخوان المسلمين عام 1950م واعتقل عام 1954م لمدة يوم ونجاه من بقية الاعتقال وجود أحد زملائه في زنازة قسم روض الفرج وكان يدعى عاطف وهو ابن أخت أحد الرتب العالية فأخرجهم جميعا من السجن.

غير أن الأمر لم يطل حيث اعتقل مرة ثانية يوم 5/10/1965 بعد الساعة الواحدة ليلا، وظل في السجن حتى نوفمبر عام 1971م، على الرغم أن المحكمة كانت قد حكمت عليه بالسجن لمدة 3 سنوات غير أنه حول للمعتقل بعد انتهاء فترة الحكم، حيث نقل لأكثر من السجن استمتع فيها بصحة كثير من الرعيل الأول للإخوان، وبعد خروجه حصل على عقد في السعودية وقضى بها ما يقرب من 17 عام من عام 1982م حتى عام 1999م. تعرف على زوجته وتم الزواج في يوليو 1965م ورزقهما الله بجيهان (جهاد) عام 1965م ثم سمية عام 1972م - بعد الخروج من السجن - ثم راوية 1973م ثم رباب عام 1975م ثم أحمد عام 1976م ثم رباب عام 1978م.

### محنة 1965م

تعرض الإخوان لمحنة شديدة في هذا العام وتعذيب رهيب، وكان الحاج عبدالمنعم قايل واحد منهم ويحكى عن اعتقاله فيقول: كان الاعتقال الثاني يوم الثلاثاء 5 أكتوبر 1965م، وكنت في ذلك الوقت لم يمرَّ على زواجي سوى بضعة أسابيع، وكنت قد تركت العمل في المصانع الحربية، وعملت محاسبًا في إحدى شركات المقاولات بروض الفرج، على الرغم من أن المرتب الذي كنت أتقاضاه من المصانع الحربية كان ضعف ما كنت أتقاضاه من العمل كمحاسب، ولكنني فضلت أن أعمل بمؤهلي، وفي هذه الليلة فوجئنا في وقت متأخر من الليل بقوات أمنية مكثفة ومسلحة تطرق الباب، ولم ينتظروا لكي نفتح لهم بل قاموا بكسره وسألوا والدتي أين غرفة نوم عبد المنعم؟! فقالت لهم هذه فافتحموا الغرفة بكل همجية!!

وعندما سألتهم عن سبب ذلك لطمني الضابط بلكمة قوية في وجهي، فالتزمت الصمت، وقلبوا الغرفة رأسًا على عقب؛ لدرجة أن أحدهم فتح باب الدولار فسقطت المرأة المعلقة على أحد "ضلف" الدولار طبعًا كنت لسه عريس في ذلك الوقت والفرش كان جديدًا فصعب عليه أن يترك "الضلفة" الثانية بمرأتها فقام بكسرها هي الأخرى، وأثناء تفتيشهم للغرفة داس الضابط على المصحف فصرختُ زوجتي وقالت: حرام عليك المصحف، فلطمها بيده على وجهها فسال الدم منها، فقلت لزوجتي وأنا في أشد الحزن والأسى والغيظ أيضًا: "تستاهلي.. أنت مش عارفة إن المصحف له رب يحميه".

فقال الضابط لي بعد ان فاجاني بلطمة اخرى اقوى من سابقتها: "ما إحنا عارفين يا بن؟؟ إن المصحف له رب يحميه"، وبعد ذلك قاموا بتفتيش جميع غرف الشقة، كما لم يسلم الحمام والمطبخ من التفتيش؛ لدرجة أن أحدهم وجد "حلة" ملوخة على البوتاجاز فقلبها في الحوض طمًا منه أنه يوجد بها قبيلة لا سمح الله!!

وأثناء تفتيشهم للشقة ظلت أمي تتوسل للضابط وتقول له بحسن نية وطيبة مفرطة: "يا بيه ده عبد المنعم طيب وغلبان.. ده حتى من الإخوان المسلمين، وكل أسبوع بييجي يزوروه فلان وفلان وفلان وأنا بأعملهم أكل ويبقعدها يتكلموا في الدين".

وأنا أصرخ وأقول: "كفاية يا أمي.. كفاية.. حرام عليك اسكتي"، والضابط أصرَّ أن يعرف من والدتي أسماء من كانوا يترددون عليّ، فقالت والدتي بحسن نية له بعض الأسماء التي تذكّرُها في هذه اللحظة، ثم قال الضابط لي: "علشان والدتك الطيبة دي ارجع البس حاجة ثقيلة علشان احتمال تقعد عندنا شويه"، فرجعت بالفعل ولبست بلوفر وجاكيت وأكثر من بنطلون، ثم أخذوني وسط بكاء شديد من والدتي وزوجتي العروس.

## مواقف حياة

بعد اعتقاله ترك زوجته بصحبة والده ووالدته لتقوم على خدمتهم ولترعى ابنتها جيهان والتي طلب الشهيد سيد قطب تغيير اسمها لجهاد فتم ذلك وهو ما عرضها للسؤال والضغط من ضابط القسم الذي استدعاها للسؤال عن سبب تغيير الاسم بذلك، وقد تعرضت لمضيقات كثيرة من قبل العسكر فكانت ترد عليهم بقولها: «لو شاطرين اعتقلونا معهم فهم أشرف الناس وأعظم الناس».

وفي إحدى الزيارات استطاع الإخوان أخذ ابنتها جهاد منها دون علم العسكري وإدخالها للسجن لوالدها وأخذوها إلى فضيلة المرشد الأستاذ حسن الهضيبي في المستشفى، فقبّلها ودعا لها، وكذلك قبّلها وحجّأها ودعا لها أستاذتنا الكبار الفضلاء أمثال: أحمد شريت وعمر التلمساني ومصطفى مشهور.

وفي فترة في السجن مرض الأستاذ عبدالمنعم واتضح أن الزائدة الدودية ملتهبة فقرّر الأطباء إجراء عملية جراحية له، غير أنه أشبع أنه توفي بسبب أن الأطباء أخطأوا أثناء إجراء عملية الزائدة الدودية حتى ظنوا انه مات، وعندما علمت زوجته بذلك فما جزعت ولا قنطت واحتسبته عند الله شهيدا.

كانت زوجته نعم الزوجة والداعية في عام 1968م اتصلت بها الحاجة فاطمة عبيد (أم احمد) فكانت تعاونها في رعاية بيوت الإخوان المعتقلين، كما كان لها الدور الأساسي في تهريب مسودات كتاب عندما غابت الشمس.

وعن قصة كتابة «عندما غابت الشمس» وهو من الكتب الهامة التي تؤرخ لفترة هامة جدا وهي فترة عبدالناصر وما قام به نحو الإنسانية من تعذيب وبعود الفضل في إنقاذ هذا الكتاب من السجن الحربي وإخراجه للنور يعود للأستاذ عبدالمنعم قايل والسيدة المجاهدة زوجته أم جهاد يقول الأستاذ عبد الحليم خفاجي: «الفضل لله العالی وحده، ثم لائنين من الأخوات في إخراج هذه المذكرات، من الظلمات إلى النور، في وقت كان يجبن فيه عن التصحية أشجع الرجال الأولي هي الأخت أم جهاد زوجة أحد الأخوة المعتقلين، والثانية هي الأخت نفيسة زوجة الشهيد أحمد نصير.. الأولى غامرت بتهريبها إلي خارج المعتقل، رغم سلسلة التفتيشات التي يتعرض لها الزوار والمعتقلين علي السواء، والثانية لم تتردد في الاحتفاظ بالكشاكيل الخمسة التي سُربَت إليها تباعًا، رغم أنه لم يكن قد مضى علي استشهاد زوجها بالمعتقل عدة أشهر، وكان بيتها لذلك هو أصلح مكان للحفظ بعد أن خفت الرقابة عليه ولولا هاتين الأختين المجاهدتين لطوبت الفكرة في الصدور .. فله الفضل والمنة إن ربي لطيف لما يشاء.

ويضيف قوله: ولكن محنتي الحقيقية كانت تبدأ فور فراغي من كتابة كل كشكول، إذ كيف أخترق به الحواجز البوليسية، إلي خارج أسوار الدولة البوليسية، قبل الشروع في الكتابة من جديد .. لم يكن أمامي إلا انتظار الأعياد الإسلامية، والمناسبات الوطنية، حيث يترخصون في تسلم الأطعمة، في مختلف الأوعية، بشرط سرعة إعادتها فارغة داخل عليها الكرتونية ..

وبنفس السرعة أكون قد نجحت في إلصاق الكشكول في قاع الكرتونية، مستخدماً «النشا» «والأوراق» بحيث يبدو القاع طبيعياً، بمساعدة من أثق بهم من الشباب من آل "البرديني" وكم تصببت عرفاً كلما شاهدت السجن وهو يمعن في فحص علبة الكرتون، إلي أن يمر المشهد بسلام فأخر ساجداً لله.

وعندما ضاقت بنا السبل ذات مرة، ولم نجد منفذاً عن طريق الزيارات تصبّع أبو جهاد -عبدالمنعم قايل - المرض؛ ليدخل المستشفى، حيث زارته أم جهاد بها، واستطاع أن يعاقل السجن ويدس لها الكشكول في صدرها، ولم يتشكك أحد، وإلا لقامت إحدى السجانات المختصة لهذا الغرض بتفتيشها.

ثم يقول: ولم أنس في عمرة ذلك كله دور الأختين المجاهدتين ، فهما صاحبتا الثواب الأكبر - إن شاء الله - ، وابتسمت وأنا أتذكر ذلك الضابط الصغير، الذي هاله أن تسمي الأخت الضعيفة ابنتها جهاد بعد أن وضعتها عقب اعتقال زوجها، وأجري تحقيقاً شديداً معها في مبني المباحث عن دوافع هذه التسمية، وهددها بسوء المصير إذا لم تغير هذا الاسم.. وربط الله علي قلب هذه الأخت الوحيدة في دولة الطواغيت، ولم يتزعزع إيمانها.. وكافأها الله علي ذلك في الدنيا برؤية هذا الجهاد.. أما يوم القيامة فلا تعلم نفس ما أخفي لها من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون".

وعندما خرج من السجن وسافر مع أهله هناك لم ينس دعوته ولا زوجته أيضا فتعرفوا على العديد من إخوانهم هناك وعملوا معهم في الدعوة، كما كانوا قبلة لكل من يريد معرفة تاريخ حقبة عبدالناصر وما جرى فيها.

حينما عاد إلى مصر واستقر بها نشط وسط إخوان بشمال القاهرة في العمل الدعوي أمثال الحاج يوسف قته والحاج حمدي إبراهيم وغيرهم، وظل مواظبا على الحضور لمكتب الإرشاد وإفطارات الإخوان حتى وهن عظمه وكبر سنة ودخلت الجماعة في محنة عام 2013م فظل على ثباته بحول الله حتى توفاه الله، فنسأل الله أن يتغمده بواسع رحمته.